الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنـــــــوان المـــــــذكّرة

الاغتراب في رواية "هجرة السنونو"

لحيدر حيدر

مذكّرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي

إعداد الطالبة:

رادية بوعروة

إشراف الدكتورة:

عبلة معاندي

السنة الجامعية: 2022-2023

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله عزّ وجلّ الذي أنعم علينا بنعمه ورحمته

نتقدّم بأسمى آيات الشكر والتقدير والاحترام إلى أستاذتنا الفاضلة "معاندي عبلة"

على ما غمرتنا به من نصائح وتوجيهات علمية ومنهجية، ولم تبخل علينا، جزاها الله عنا

خير جزاء.

كما نشكر كلّ من قدّم لنا يدّ المساعدة، ونشكر الأساتذة المناقشين مسبقا على قراءتهم

لهذا العمل المتواضع، ونرجو أن ينال إعجابهم ونكون عند حسن ظنّهم.

إهداء

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار... إلى من علّمني العطاء بدون انتظار...

-والدي العزيز-

إلى ملاكي في الحياة.... إلى معنى الحبّ والحنان والتفاني...

-أمي الغالية-

إلى إخوتي... صديقتي أنتم سندي رعاكم الله ووفّقكم

مقدمة

مقدمة:

الرواية فنّ تخييلي خلاق له سمات مميزة وطابع فني متفرد يجعله مختلفا عن باقي الأجناس الأدبية ، فهو أكثر ألوان الأدب انتشارا وأكثرها قدرة على التعبير بحرية وطلاقة عن مختلف الجوانب الحياتية بما فيها من وقائع ومواقف وأحداث بما توفره للأديب المبدع من مساحة تعبيرية كبيرة ليفصح عن آرائه ، رؤاه ، مشاعره ومكنوناته التي يحملها نسيج النص الروائي ، فالرواية تشكل عالما واسعا فسيحا، عالما تخييليا متعدد الأوجه والمواقف والأيديولوجية ،يخلقه الروائي عن طريق الكلمات أي بوساطة اللغة ومن خلاله يمارس رؤيته للعالم الاجتماعي الذي يعيش فيه بكل جزئياته ومكوناته وقضاياه، و لعل من أبرزها قضية الاغتراب التي تعد من أكثر القضايا الإنسانية انتشارا وبروزا في مجتمعاتنا المعاصرة .

وقد شهدت الساحة الروائية العربية أعمالا إبداعية كثيرة صبت اهتمامها على إبراز المحتوى العميق للعلاقات الإنسانية بكل ما تنطوي عليه من تناقضات وصراعات واختلالات ومفارقات التي تخلق اغترابا واضحا في سلوك ومواقف أبناء المجتمع العربي. لهذا ليس مستغربا أن تنال ظاهرة الاغتراب حيزا كبيرا من الاهتمام في الأوساط الروائية العربية، ويتخذها العديد من الروائيين العرب موضوعا لرواياتهم على غرار الروائي الكبير حيدر حيدر الذي ارتبطت تجربته الروائية ارتباطا وثيقا بسؤال الغربة والاغتراب، بحيث يمكن القول: إن الاغتراب تيمة أساسية في الأعمال الروائية لهذا الكاتب المبدع، يتردد حضورها اللافت في نتاج نصوصه الإبداعية الزاخرة بالمعاني والدلالات، مستحثا الباحثين والدراسين على العودة إليها من أجل استقرائها واستنطاقها ومحاورتها.

وعليه، فإن اختيار موضوع الاغتراب في رواية هجرة السنونو لحيدر حيدر لم يكن منفصلا عن هذا المسعى، فهذه الرواية تعبر عن رؤية اغترابية وقلق وجودي للذات العربية المأزومة التي تحيا في ظل واقع مرير.

نركز من خلال هذا البحث على استجلاء ظاهرة الاغتراب في هذه الرواية، بالكشف عن مظاهرها وتجلياتها، محاولين فكّ بعض الغموض حول هذه الظاهرة والوقوف على مفهوم الاغتراب وأنواعه وتجلّياته في الرواية المدروسة.

على ضوء ما سبق، يمكن صياغة إشكالية بحثنا في السؤال الرئيسي التالي: ما مفهوم الاغتراب؟ ويندرج ضمن هذا التساؤل جملة من الأسئلة الفرعية: فيم تكمن مظاهره وأسبابه؟ ما هي أنواعه؟ كيف تجلّت ظاهرة الاغتراب في رواية هجرة السنونو؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، عمدنا إلى وضع الخطّة التالية: مقدمة وفصلان وخاتمة.

الفصل الأوّل "نظري" عنوانه الاغتراب: إطلالة نظرية على المفهوم وأبعاده، تطرّقنا فيه إلى مفهوم الاغتراب اللّغوي والاصطلاحي، حضوره عند مفكّري الغرب والعرب، مظاهره، أسبابه وأشكاله.

أمّا الفصل الثاني "تطبيقي"، خصصناه لإبراز أهمّ تجلّيات الاغتراب في الرواية.

بينما الخاتمة كانت استنتاجية وحوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها في الدراسة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع المطروق والغاية التي نتوخاها من الدراسة أن نعتمد على المنهج الموضوعاتي.

وارتكزنا في بحثنا على دراسات مختلفة ساعدتنا في انجاز عملنا، ومن بينها:

- الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع) لحليم بركات.
- دراسات في سيكولوجية الاغتراب "عبد اللطيف محمد خليفة".

كما قد واجهتنا بعض الصعوبات في إنجاز بحثنا من بينها: الصعوبة في العثور على المادة العلمية ذات الصلة بموضوع البحث، ذلك أنه على الرغم من وجود دراسات كثيرة تناولت النتاج الروائي لحيدر حيدر إلا أننا لم نتوصل إليها بسبب ضيق الحيز الزمني المتاح لهذه الدراسة، الذي حال دون الوصول والاطلاع على مجمل ما كتب حول حيدر حيدر، وكذلك ما كتب حول ظاهرة الاغتراب في نتاجه الفني.

لكن بفضل الله سبحانه وتعالى استطعنا أن نتغلّب على هذه الصعوبات، خاصة مع الأستاذة المشرفة "معاندي عبلة" التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها القيّمة وكانت دعما وسندا لنا لإنهاء هذا البحث، فلها منا كلّ عبارات الاحترام والمحبة.

نتمنى أن يلقى هذا البحث استحسانا وقبولا، فحسبنا أنّنا اجتهدنا، فإن أصبنا فبفضل الله تعالى وتوفيقه، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

الفصل الأول

الاغتراب: إطلالة نظرية على المفهوم وأبعاده

الاغتراب ظاهرة إنسانية امتد وجودها لتشمل مختلف أنماط الحياة، وهي مرتبطة بالوجود الإنساني ارتباط الروح بالجسد.

فالاغتراب من أكثر المواضيع التي يطرح تناولها إشكالات عديدة، أبرزها الغموض الذي يكتنفه، بالرغم من أنه ظاهرة وجودية قديمة قِدَمَ الإنسان على الأرض إلا أن مفهومه ظلّ عُرْضَةً لاختلاف الرُّؤى والأبعاد وتوسع زواياه وتداخلها مع مفاهيم أخرى منها: الابتعاد، المهجر، الانعزال، الانفصال؛ وهذا ما ولد اختلافا حول تعريفه لدى الباحثين.

1-الاغتراب:

1-1-لغة: جاء في لسان العرب في مادة غرب. و"التغريب: النفي عن البلد" و"غرب أي بعد ويقال: أُغرب عني، أي تباعد، ومنه الحديث أنه أمر بتغريب الزاني. التغريب: النفي عن البلد وقعت الجناية فيه. يقال أَغْرَبَتُه وغرَّبَته، إذا نحّيته وأبعدته."[1]

ويقال: "غرّبه أبعده، وغَرَّبَ، بَعُدَ. ويقال للرجل: يا هذا غرِّب، شرِّق أو غرِّب. وهل من مغرّبة خبر؟ وهو الذي جاء من بعد. تكلّم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول: فلان يُعرِب كلامه ويغرب فيه وفي كلامه غرابة، وغرُب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة أي غَمُضت، فهي غريبة ومنه:

[1]- ابن مظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف-1119، كورنيش النيل-القاهرة، ج.م.ع، دط، دس، ص3225.

مصنّف الغريب، وقول الأعرابي: ليس هذا بغريب ولكنّكم في الأدب غرباء، وأغرب الفرس في جريه والرّجل في ضحكه إذا أكثر منه."[1]

كما ورد في مقاييس اللغة: "الغربة: البعد عن الوطن، يقال غربت الدار ومن هذا الباب: غروب الشمس، كأنه بعدها عن وجه الأرض."[2]

فقد تعدّدت المعاني والمفاهيم التي يتّسع لها لفظ الاغتراب، فقيل "غرب في الأرض أي أمعن فيها، اغترب بمعنى نزح عن الوطن فسافر سفرا بعيدا وغرب عن وطنه غرابة وغربة بمعنى ابتعد عنه."[3]

بالإضافة إلى هذا يشير "البستاني" في معجمه "محيط المحيط" يقول: "الغربة المرة والبعد، ويقال نوى غربة أي بعيدة والغربة النزوح عن الوطن. يقال الغربة عن الحال عن حقيقة التعود فيه. الغريب البعيد عن وطنه، وكلام غريب أي بعيد عن الفهم، وشيء غريب عجيب غير مألوف ولا مأنوس، وقوم غرباء أي أباعد."[4]

ورغم تعدد المعاني في المعاجم العربية للفظ الاغتراب إلّا أنها اشتركت فيما له صلة بالبُعد والنّفي والنّزوح عن الوطن.

[1]- أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار المعارف العلمية، بيروت-لبنان، ج1، ط1، س 1998، ص696،697.

[2]- ابن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، دط، دس، ج4، ص421.

[3]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص647.

[4]- بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان-بيروت، دط، 1987، ص654.

1-2 اصطلاحا:

وُجدت ظاهرة الاغتراب في مختلف أنماط الحياة، وهي من المواضيع الهامة التي وردت بدلالات مختلفة ومغايرة لاختلاف العلماء والفلاسفة والشعراء في ضبط مفهوم واحد لها، فهو: "ظاهرة إنسانية وجدت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وفي كلّ الثقافات لكن بدرجات متفاوتة، ذلك أنّ الاغتراب قد يعني الانفصال، وعدم الانتماء، ويعرف أيضا بأنه وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به وبصورة تتجسّد في الشعور بعدم الانتماء والسّخط والقلق."[1]

وهذا يدلّ على أن الاغتراب حالة تُلازم الفرد وتسيطر عليه، فتجعله يشعر بالعُزلة وأنّه غريب عن واقعه ومجتمعه وهذا ما ينجم عنه الشعور بالقلق والصراع والسخط تجاه ذاته والبيئة المحيطة به.

كما يحمل معنًى دينيًا ويكون "بانفصال الإنسان عن الله، أي التعلّق بالخطيئة وارتكاب المعصية بحسب التصور الديني في الإنجيل ليس مجرد تعدّ على شريعة الله وأحكامه، وإنما هي في جوهرها انفصال عن الله."[2]؛ أي أنه اغتراب عن العقيدة ورفض المؤسسة الدينية، بمعنى أن الاغتراب متعلّق بالانفصال عن الذات الإلهية.

حيث يفسر الاغتراب في الوجودية المؤمنة على أنّه ابتعاد الفرد عن الله (الجوهر-والخالق) الذي تعود إليه كل المخلوقات لأنه جوهرها، وهو رأي باسكال بليزBlaise Pascal كير كيجارد، بينما تذهب الوجودية الملحدة لجون بول سارتر والتي استمدها من الفلسفة الألمانية، إلى أنّ جوهر الإنسان ووجوده يؤول إلى العدم Le neant وليس إلى الله وبالتالي يغترب عنه.

---

[1]- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري، (دراسات اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنّشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م، ص13.

[2]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة، دط، 2003م، ص25.

يشكل فكر سارتر مرجعية أساسية للاغتراب لأنه استطاع أن يؤدب الفلسفة ويفلسف الأدب وضمن أفكاره حول الاغتراب في مختلف الروايات التي ألفها ومنها رواية: الغثيان –كما أعطى مفهوما خاصا للأدب وللاغتراب–في كتابه: ما الأدب؟

وهو أيضا "صراع ذاتي داخلي للفرد، وصراع بينه وبين الوسط المحيط به للخلاص من القهر والظلم والاستغلال، والعبث والفوضى والزلل والخطأ."[1]، فهو (الاغتراب) انعزال الفرد عمّا يحيط به وتعبير عن عدم الرضا ورفض الأمور السائدة. وهي حالة تؤدّي بالإنسان إلى العجز والاكتئاب وضعف في الشخصية.

في سياق آخر تقول "ساجدة عبد الكريم": " وهذه الدلالات "الذهاب–التنحي–النوى–البعد–النزوح" تشترك بجذر واحد هو (الانفصال عن) الذي يوحي بأن الاغتراب كحدث كائن يتم بإرادة ذاتية تمتلك إمكانية الاختيار، أي حصول الذهاب برغبة وإرادة الذاهب، وهذا ما يحدده اتجاه الاغتراب سلبا كان أم إيجابا."[2]

وبناءً على ما سبق، يمكننا القول إن الاغتراب يحمل دلالة واحدة وهي مفهوم البُعد والغُربة، بحيث تشترك كلّ دلالات لفظة الاغتراب وتَخْلُص إلى معنى الانفصال، بحيث إذا كان الاغتراب بإرادة ذاتية وباختيار الفرد مثلا للحصول على عمل أو تطوير نفسه في مجال معين فسيحقق مبتغاه، إمّا نتيجة الحروب والكوارث أو هروبا من السلطة السياسية والاجتماعية، فبذلك يكون مرغما وخارجا عن إرادة الفرد، فنجده دائما يحن ويشتاق ويستحضر الماضي.

[1]– حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلّة جامع دمشق، مج27–2011، ع1+2، ص24.

[2]– ساجدة عبد الكريم خلف التميمي، الاغتراب في شعر نازك الملائكة، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2016م، ص17.

وقد لجأ الدّارسون والباحثون لتعريف هذا المصطلح (الاغتراب) واستخلاص مجموعة من المفردات التي تتوافق معه، كالانفصال والانعزال، الابتعاد، التّخلّي، اللا تواصل.

كما يُعرَّف أيضا عند "ريتشارد شاخت" بمعانٍ تختلف عن سابقتها، "أما الشعور بالاغتراب فهو في النهاية صفة لعدم الرّضا أو القناعة بالحالة التي يعيشها الإنسان، فهو حالة من التناقض في الوعي، كما عبّر عنه عديد من المفكرين أمثال –شاخت–والذي وصف الاغتراب أنه "شعار العصر"، أو بأنه واحد من أضخم المشاكل التي تواجهنا اليوم."[1]

وهذا يدلّ على أنَّ الاغتراب حدث أو ظاهرة ملازمة للإنسان حتى أنّها من أكبر المعيقات التي تواجهه وتشكّل حاجزا أمامه.

واستنادا لكلّ ما سبق يمكننا التمييز بين ثلاث مستويات للاغتراب، منها: اغتراب الإنسان عن مجتمعه حيث تُسلب حرّيته، اغتراب الإنسان عن وطنه وأهله، واغترابه عن ذاته مما يولّد لديه شعورا بالقلق والضعف والعجز.

أ– في الفكر الغربي:

إنّ المقابل للكلمة العربية "اغتراب" هو "الكلمة اللاتينية Alienatio، وهو الأصل الذي اشْتُقَّت منه الكلمة الإنجليزية alienation، أو نظيرتها الفرنسية Aliènation الدالة على الاغتراب، هو الكلمة اللاتينية Alienatio وهي تستمد معناها من الفعل اللاتيني Alienase بمعنى ينقل، أو يحول أو يسلم أو يبعد. وهذا الفعل مأخوذ بدوره من كلمة لاتينية أخرى هي Alienus

[1]– ريتشارد شاخت، الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دت، ص56–57، نقلا عن ساجدة عبد الكريم خلف التميمي، الاغتراب في شعر نازك الملائكة، ص34.

بمعنى الانتماء إلى الآخر وهذه الأخرى مشتقّة في نهاية الأمر من كلمة Alius بمعنى (الآخر) أو (آخر)."[1]

ومن خلال هذا التعريف يتضح أنّ مصطلح الاغتراب من فعل الغربة، ورغم تعدد الدلالات إلا أنّ مفهومه لم يتجاوز معنى الانفصال والبعد.

"هيغل Hegel" من بين أوائل الفلاسفة المعاصرين الذين تناولوا مصطلح الاغتراب ونظرا لذلك فقد عرف بينهم باسم "أبو الاغتراب."[2]

ومن ثمّة فهذا المصطلح يمثّل عنده "بأنّه حالة اللا قدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية."[3]

فهو –إذن–حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد، فتجعله غريبا وبعيدا عن واقعه الاجتماعي ويصبح عاجزا عن الانسجام مع الناس.

وقد تنبّه الفلاسفة والمفكّرون إلى هذه الظاهرة وحاولوا الإحاطة بها، ولعلّ من أكثر الفلاسفة الذين خاضوا في هذه الظاهرة وكشفوا عن بعدها الاجتماعي؛ "هيغل" الذي لم يتوقّف عند حدود الطابع الفردي للظاهرة وإنّما أشار إلى الطابع الكلّي (الاجتماعي) لها والذي هو "متمثّل في الفردية

[1]– محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988، ص31–32.

[2]– محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، ص13.

[3]– حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين العلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، س2006م، ص37.

والكلّية ويقصد بالأخيرة تلك البنية الاجتماعية التي يبعدها عقل الإنسان، وبالتالي يعتبرها شيئا عقليا ينظر إليها كموضع لعقله."[1]

فالاغتراب حسب "هيغل" يحمل معنيين أساسين؛ المعنى الفردي أي انفصال الفرد عن ذاته، والمعنى الكلّي وهو انفصال الفرد عن بنيته الاجتماعية.

أمّا أفلاطون فيرى الاغتراب هو حرمان الإنسان من حقه القانوني والطبيعي وهو "الذي اغترب عن أخلاقيات عصره ومجتمعه ودعا إلى إقامة جمهورية فاضلة يحكمها الفلاسفة حتى يتحقق العدل، فكان يقصد بالاغتراب ابتعاد الإنسان عن عالم المثل وعيشه في عالم أرضي طارئ بدون إرادته."[2]، فالإنسان مغترب عند حرمانه من حقوقه القانونية والطبيعية وابتعاده عن العالم المثالي.

وبالنّسبة لأفلاطون، الفلاسفة هم القادة الذين يحكمون ويوجّهون المجتمع حتى يسود العدل.

وقد تطرّق الفيلسوف "جان جاك روسو" إلى فكرة الاغتراب وميّز بين معنيين له، ففي كتابه "العقد الاجتماعي" دلّ على المعنى الأوّل الإيجابي وهو أن يتخلّى الفرد عن حقّه لصالح المجتمع، أمّا في "الكتابات النقدية للحضارة والمجتمع"، يشير إلى المعنى الثاني السّلبي وهو فقدان الإنسان ذاته ويصبح وجوده بلا قيمة وعبدا للمؤسسات الاجتماعية. وبالنّسبة لـ"ماكس فيبر" فالاغتراب هو: "عجز المواطن عن مواجهة الدّولة التي تحاول السّيطرة عليه وتقرير مصيره."[3] وعليه فالشعور بالاغتراب ينتج عندما تقوم السلطة السياسية بتهميش المواطن وإخضاعه لسياستها.

[1]- لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر، دط، 2013م، ص25.
[2]- فريد أمعضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ط1، د د ن، 1436هـ/2015م، ص13.
[3]- بسام خليل فرنجية، الاغتراب في أدب حليم بركات، مجلّة فصول، مج4، ع1، 1983م، ص209.

أمّا "فيورباخ Feuerbach" فقد حصر مفهوم الاغتراب في الدين؛ فهو يرى "أنّ الدين هو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه أي الاغتراب الذاتي، بذلك يتصرّف الإنسان واضعا نفسه تحت سيطرة مخلوقاته التي قد تتحكم به... فيصبح الإله صورة للكمال ويتحول الإنسان إلى مثال للخطيئة والشّر."[1]، أي أن الإنسان يُخضع نفسه لسيطرة مخلوقاته، فيصبح عابدا لأشياء تعكس ما لديه من قيم، ما يجعله فاقدا لذاته مغتربا عن نفسه.

كما أنّ "كارل ماركسKarl Marx" من الرّواد الهادفين لتحليل مفهوم الاغتراب، إذ قام بتوسيعه ليشمل كامل الحياة السياسية والاقتصادية في المجتمع البورجوازي، فبالنّسبة إليه هو: "أنّ يفقد الإنسان حرّيته واستقلاله الذاتي، بتأثير الأسباب الاقتصادية أو الاجتماعية، أو الدينية، ويصبح ملكا لغيره، أو عبدا للأشياء المادية، تتصرّف السّلطات الحاكمة تصرفها في السّلع التّجارية."[2]

وكما هو جليّ فإنّ "ماركس" يربط ربطا صميميا بين الظاهرة الاغترابية والنظام الرأسمالي والمِلْكية الخاصة التي يعدّها هذا الأخير شكلا من أشكال الاغتراب مثلها مثل المعتقدات والمؤسسات الدينية.

وفي هذا الصدد يؤكّد الباحث "وابل نعيمة" أنّ "ماركس" شدّد على "طبيعة الخاص، لكنّها تتخذ لها في النّهاية شكلا مستقلا، تصبح تمثل بمقتضاه قوى غريبة تواجهه وتعاديه."[3]

وهو بذلك يقرّ بوجود علاقة تحكم الإنسان بالمؤسسات التي هي من صنعه، ومن ثمّ تصبح قوى معارضة له وتنفرد بشكلها المستقلّ عنه.

---

[1]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص38-39.

[2]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، ج1، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، دط، 1982م، ص765.

[3]- وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس "دراسة تحليلية نقدية"، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار-الجزائر، دط، 2013م، ص59.

أ–أ عند الوجوديين:

لقد تطرّق "كير كيجارد Kierkegaard" إلى فكرة الاغتراب وتحدّث عن هذه القضيّة من خلال نقده للحشد والجمهور الذي يولّد الضياع حسبه.

يقول "حسن حماد": وعلى الرغم من أن كير كيجارد لم يستخدم مصطلح الاغتراب، إلّا أنّه يشير إلى الفكرة بشكل صريح في كتابه "العصر الحالي" الذي كتبه سنة 1846، وفيه يتعرض لقضية اغتراب الإنسان الحديث من خلال نقده لضياع الفرد في داخل الحشد، وفقدانه لتفرّده وحرّيته."[1] فحسب "كير كيجارد" فإن انفصال الإنسان عن ذاته قد نتج عن ارتباطه بالناس، فقد ربط ظاهرة الاغتراب بالحشد أو (الناس) وذلك يفقده حرّيته.

وفي الصدد ذاته يعتبر كير كيجارد أنّ الشخصية المغتربة هي تلك التي تتخلى عن حرّيتها وتضعها تحت تصرّف الآخرين وتصبح تابعة لهم، وبذلك تصبح شخصية غير مستقلّة وتضحّي بحرّيتها وتضيع في سبيل تحقيق الطّمأنينة الزائفة للجمهور.

أمّا "إريك فروم" فيرى أنّ "مفهوم الذات الأصلية يرادف مفهوم الذات غير المغتربة التي حققت وجودها الإنساني المتكامل، أما الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الإنساني الأصيل، لذا نجده يميّز بين الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وعن وجودها الإنساني الأصيل."[2]

[1]– حسن حماد، الإنسان المغترب عند إريك فروم، دار الكلمة، القاهرة، مصر، دط، 2005م، ص98.

[2]– محمود سليم هيجانة، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن–إربد، دط، 2005م، ص18.

إذن فالذات الأصيلة –حسب فروم–هي الذات غير المغتربة التي تحقق وجودها والقائمة على الحب، أمّا الذات المغتربة والزائفة فهي ذات فقدت وجودها الإنساني وضاعت في الحشد، فهي عاجزة عن إثبات وجودها وغير قادرة على إعطاء الحب.

ب– في الفكر العربي:

إنّ موضوع الاغتراب موضوع هامّ وجوهري عبّر عنه القرآن الكريم، حيث اعتبر بعض المفكّرين أن الاغتراب أصل في الإنسان منذ خروج آدم من الجنّة وهبوطه إلى الأرض، فكان هذا أوّل اغتراب في البشريّة.

وعند بزوغ نور الإسلام حاملا معه نور الهدى والخير والحقّ، لم يستجب له إلاّ فئة قليلة أغلبها من قرابة الرسول صلى الله عليه وسلّم، وكانت تسمى هذه الفئة "بالغرباء" في قوله عليه الصلاة والسلام: "يبدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء"، وعندما سُئل مَن الغرباء يا رسول الله؟ قال: "الذين يصلحون إذا فسد النّاس."[1]

ويتّضح لنا من خلال الحديث أنّ الغرباء طائفة صغيرة من أهل الصلاح الذين خالفوا قومهم وابتعدوا عن معتقداتهم من عبادة الأصنام والأوثان، وآمنوا بالرّسول والدّعوة الإسلامية، كما أنّ الإسلام يدعو النّاس إلى الغربة بالمعنى الإيجابي، باعتبار أنّ حياة الدنيا محطّة عبور والآخرة هي دار البقاء في قوله تعالى: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر:39].

[1]– أيمن حماد، الاغتراب في الرواية العربية المعاصرة، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، مج1، ط1، 1952-2000، ص23.

وهو أيضا "اغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، واغتراب عن النّظام الاجتماعي غير العادل، فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة إيجابية، سلبية، فقهروا السلطتين جميعا... فحلّ النّظام الروحي الداخلي الذي يشيع في النّفس الشعور بالأمن والأمان."[1]

يعتبر الاغتراب في الإسلام هو الابتعاد عن ملذّات ومغريات الحياة وترك الرّذائل والتّرفع عن شهوات الدّنيا والحياة الاجتماعية الزائفة.

إضافة إلى ذلك، يقول "أحمد علي الفلاحي": "هناك من يرى أنّ الإسلام في جوهره ظاهرة اغتراب وتحوّل اجتماعي نوعي بحكم كونه هجر عبادة الأوثان والأصنام، وثورة على النظام الاجتماعي غير العادل."[2]

فنستنتج أنّ ظاهرة الاغتراب كانت حاضرة منذ القدم وذلك عند مجيء الإسلام والتّحوّل الجذري الذي طرأ آنذاك، فكان دين الحقّ والعدل والمساواة.

وفي السياق ذاته ساهم بعض المفكّرين العرب في تحديد مفهوم للاغتراب، حيث ربطوا هذا الأخير بتجربة الإنسان العربي ومعاناته القاسية في الحياة، ولعلّ أهمّ نموذج كابد مشاعر الاغتراب نموذج الشعراء الذين أطلقت عليهم تسمية الصعاليك.

يقول "عبد الرزاق الخشروم": "قد يولد الإنسان لأمة سوداء فيظلّ لونه يلاحقه ويكون عليه سبة، أو يكون فقيرا فيتصعلك أو يرتكب خطيئة فيخلع... أو يضطر إلى النزول بقوم لا يمت إليهم

[1]- فتح الله خليف، الاغتراب في الإسلام، عالم الفكر، مج10، ع1، 1979، ص88.

[2]- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، ص17.

بصلة النّسب فيكون في كلّ هذه الحالات غريبا."[1] فقد يكون لون البشرة أو الفقر سببا في اغتراب الإنسان ودفعه نحو العزلة والابتعاد عن المجتمع ومحيطه، مما يولّد لديه القلق الدّائم وقلّة الثّقة في النّفس.

كما أشار له علي وطفه بقوله: "الاغتراب من الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار أو الضّعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم في داخل المجتمع، ومن هذا المنطلق فإنّ العقد النفسية وحالات الاضطراب النّفسي أو التناقضات تشكّل صورة من صور الأزمنة الاغترابية التي تعتري الشّخصيّة."[2]

ويتمثّل أيضا في "الحالة التي يتعرض فيها الإنسان إلى الضعف والعجز والانهيار في الشخصية، أي جانب إحساسه بالانفصال عن المجتمع والانسلاخ عن الثقافة الاجتماعية."[3]

نستنتج –إذن–أنّ شخصية الإنسان تضعف وتنهار جرّاء العقد والاضطرابات التي يتعرض لها.

1– التفسيرات العلمية للاغتراب:

1–2 من منظور علم النّفس:

اختلفت دراسات علماء النّفس لموضوع الاغتراب، ومن بين العلماء الذين اختصوا وتعمّقوا في دراسة هذا المصطلح "سيغموند فرويد Sigmund Freud" الذي حاول أن يقوم بتفسيره بالاعتماد على نظرية التحليل النفسي.

---

[1]– عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1982، ص15–16.

[2]– علي وطفه، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت م27، ع2، أكتوبر–ديسمبر 1998، ص247.

[3]– جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف 8جوان 2012، ص349.

يكشف "فرويد" أنّ الاغتراب يكون إذا فشل الأنا في القيام بوظيفته والتي تتمثل في صدّ وردع الغرائز المدفونة والمكبوتة، يقول:

" ويطلعنا علم الأمراض على عدد وفير من الحالات التي يصبح فيها الخطّ الفاصل بين الأنا والعالم الخارجي غير واضح وغير دقيق فعلا، ففي بعض الأحوال تبدو أجزاء من بدننا، بل عناصر من حياتنا النفسية، من إدراكات وأفكار ومشاعر كأنها غريبة وأجنبية ولا تؤلف جزءا من الأنا."[1] إنّ إحساس الإنسان بالاغتراب النّفسي وهروبه من الواقع حسب "فرويد" سببه الصراع القائم بين الأنا والأنا الأعلى والهُوَ.

ينشأ الاغتراب حسب فرويد نتيجة الصراع بين الذات وضوابط المجتمع والأخلاق، فتتولّد لدى الفرد مشاعر القلق والحزن عند مواجهة تلك الضوابط الاجتماعية والحضارية، وهذا ما يدفع بالفرد اللّجوء إلى الكبت كحل للصراع الناشئ بين تقاليد المجتمع ورغباته وأحلامه وهذا يؤدي به إلى مزيد من القلق، فقدان الأمن، الوحدة.

فالاغتراب النفسي يجعل الإنسان محبطا من نفسه ومن الناس ومن الحياة كلّها، لا يستطيع بناء علاقة بين ذاته والعالم الخارجي، حيث يشعر بالانفصال عن نفسه وعن الآخرين، فيتغرّب عن طبيعته الجوهرية وينفر من ذاته التي ترى في العالم الظّلمة والغربة.

[1]- سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط4، 1996، ص8.

كما أنّ الاغتراب يتعلّق " بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية، وعقلية وما ينتابه من شعور بالاغتراب عن العالم وفتور أو جفاء في علاقته بالآخرين."[1]

وصفوة القول: إنّ الاغتراب النفسي شعور مصاحب للقلق والحزن وحالة تصاحب الفرد، فينتج عنه انفصاله عن الواقع والذات، ويزداد إحساسه بالغربة والوحدة ويفقد صلته بذاته الأصيلة وانتمائه للمجتمع، مما يترتب عنه إحساس بالضّعف واليأس لتتشكل لديه اضطرابات وحالات نفسية ويعيش في جوّ تحكمه الفوضى والضياع والعزلة.

2-2 من منظور علم الاجتماع:

اهتم علماء الاجتماع بدراسة مصطلح الاغتراب ويرون أنّ له استعمالات متعدّدة ومختلفة في التراث السوسيولوجي وهو: "الاغتراب عن المجتمع ومغايرة معاييره، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية والمعارضة والرّفض والعجز عن ممارسة السّلوك الاجتماعي العادي."[2] بمعنى آخر الانفصال الكلّي عن المجتمع والقيم والمعايير الثقافية التي تحكمه وانطواء الذّات على نفسها.

لقد تطرّق العالم الفرنسي "دوركايم Durkheim" إلى هذا المصطلح حيث يقول عنه الباحث بسام خليل فرنجية: "يقوم مفهوم عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم على فكرة تفكك القيم والمعايير الاجتماعية بحيث لا تتمكن من السّيطرة على السلوك الإنساني وضبطه."[3]

---

[1]- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري، ص122.

[2]- عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي وعلاقته بالصّحة النّفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في علم النّفس وعلوم التّربية والأرطوفونيا، جامعة الجزائر، يوسف بن خدّة، 2007-2008، ص44.

[3]- بسام خليل فرنجية، الاغتراب في أدب حليم بركات، ص209.

فالاغتراب – حسب دوركايم- يقوم نتيجة انحراف الفرد عن القيم والمعايير الاجتماعية، فعندما لا يجد في هذه المعايير ما يلبّي حاجياته ينحرف ويتمرّد عليها ممّا يُحْدِث بينه وبين مجتمعه فراغًا وفجوة ويزيد من شعوره بالوحدة، لأنه مستقل ومنفصل عن الآخر والمجتمع وهكذا يسهل تهديمه.

2- الاغتراب؛ مظاهره وأسبابه وأشكاله:

3-1 مظاهر الاغتراب:

للاغتراب مظاهر وأبعاد مختلفة ومتعدّدة تتمثّل في: العجز، اللامعنى، اللّامعيارية، العزلة الاجتماعية، اغتراب الذات والتّمرّد.

أ- العجز:

ومن أهم معاييره "شعور الفرد باللاحول واللاقوة، وأنّه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرّفاته وأفعاله ورغباته... وبالتالي يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع."[1]

أي فقدان القدرة على التحكم في سلوكه والأحداث التي تجري في المجتمع، ويعجز عن السّيطرة وإثبات وجوده وذاته، وذلك يولّد لديه شعورا باليأس والرّضوخ وفقدان الثّقة في النّفس.

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص36.

ب- **اللا معنى:**

ومنه " توقّع الفرد أنّه لن يستطيع التنبّؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحا لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه، ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها... ومن ثمّ يعيش حياة التفاهة واللامبالاة."[1]

فالإنسان يرى الحياة من وجهة نظر تافهة، أي تصبح الحياة لديه دون قيمة، ويصبح الفرد فيها وحيدا لا يملك معنى لوجوده، وأنّ حياته تخلو من الأهداف والطّموحات.

ت- اللا معيارية:

وتسمى الأنوميا وهي حالة تصيب المجتمع، أي حالة انهيار المعايير التي تنظم السّلوك وتوجهه، وهي كما يقول "سيمان": "الحالة التي يتوقّع فيها الفرد بدرجة كبيرة أنّ أشكال السّلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة تجاه أيّة أهداف محدّدة، أي أنّ الأشياء لم يعد لها أيّة ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صوابا، وما كان صوابا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن معايير وقوانين المجتمع."[2]، وذلك عبر فقدان المعايير الاجتماعية، فيصبح الفرد بلا جذور ويفقد الاتجاه فلا يميّز بين الصواب والخطأ وتصبح حالة نفسية لعدم النظام وفقدان المعنى.

[1]- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م، ص18.

[2]- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص18-19.

ث- العزلة الاجتماعية:

ويقصد بها "شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمية والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وقيم المجتمع ومعاييره."[1]

ومن هنا نستشفّ أنّ المقصود بالعزلة الاجتماعية هي أن يصبح الإنسان منعزلا ووحيدا ومنغلقا على نفسه وغير قادر على التّكيّف ضمن المجتمع الذي يعيش فيه، وإحساسه بعدم الانتماء لوطنه والمشاركة في القرارات التي يتّخذها أفراد المجتمع.

ج- الاغتراب عن الذّات:

وهو شعور الفرد بعدم القدرة على التواصل بينه وبين مجتمعه، وانفصاله عن ذاته، ويعبّر عن ذلك باللامبالاة والاهتمام بمجريات الأحداث الاجتماعية ولا يحس بأيّ انتماء لها. حيث يقول "سيمان Seaman": "بأنّه عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف ويحيا لكونه مستجيبا لما تقدّم له الحياة دون تحقيق ما يريد من أهداف، وعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافأة ذاتيا."[2]

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص39.

[2]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص40.

ح- **التمرّد:**

ويعني "الرغبة في البعد عن الواقع والخروج عن المألوف وعدم الانصياع للمألوف من الأمور."[1]، فيقصد بهذا تمرد الفرد على كلّ ما يحيط به ورفضه لعادات وتقاليد مجتمعه، ورغبته في الانفصال عن واقعه ومجتمعه.

ومن خلال ما سبق نلاحظ أنّ هذه أهمّ المظاهر التي يتميّز بها سلوك الفرد المغترب والتي تؤدي جميعها إلى اغتراب وانفصال الفرد عن ذاته ورغباته ورفض تفاعله مع المجتمع، وبالتالي غياب دوافع الاستمرار بالحياة.

3-2 أسباب الاغتراب:

تظافرت عوامل كثيرة في تفشّي ظاهرة الاغتراب منها عوامل اجتماعية، سياسية، نفسية، لكن أهمّ الأسباب الكامنة وراء إحساس الإنسان بالاغتراب في مجتمعه تنحصر في المجال الاجتماعي، وفيما يلي سنحاول إبراز أهم هذه الأسباب والعوامل:

أ- أسباب اجتماعية:

- اضطراب التنشئة الاجتماعية.
- البعد عن الدين.
- ضغوط البيئة الاجتماعية وعدم القدرة على مواجهة هذه لضغوط.
- "فشل الإنسان في الوفاء بالعهود.

[1]- محمود سليم هيجانة، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، ص21.

- زيف وانحصار المشاركة الفعلية في اتخاذ القرارات.
- تراكم الفقر وعدم العدالة.
- الالتفات العاطفي والتواكل على الأبوين والإخوة.
- عدم القدرة على التعبير عن الرأي."[1]

ب- أسباب نفسية:

- الإحباط، ويرتبط بالشعور بالفشل والعجز التّام وتحقير الذات.
- الخبرات الصادمة.
- الصراع ويحدث بين الدوافع والرغبات المتعارضة مما يؤدي إلى القلق.

3-3 أشكال الاغتراب:

ظاهرة الاغتراب ظاهرة إنسانية واجهت الباحثين في دراستها وتحديد معانيها، وقد تعدّدت واختلفت أشكال وأنواع الاغتراب، منها:

أ- الاغتراب الاجتماعي:

هو نوع من الاغتراب عن المجتمع والشعور بالعزلة الاجتماعية والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي.

[1]- سمية بن عمارة، منصور بن زاهي: الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الأنترنت، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، ع10، جوان 2013، ص54.

وبذلك لا يكون هناك تفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، أي ضعف الروابط وقلّة الإحساس بالمودّة والألفة، وهذا بسبب "ضياع العلاقات الإنسانية النّبيلة في المجتمع الذي تغيّرت فيه المبادئ، فتمزّقت فيه الروح بسبب الرّغبات الشّهوية والتهالك على الدّنيا."[1]

أي أنّ هذا النوع من الاغتراب ينشأ ويترعرع في ظلّ وجود الفقر والكذب وغياب العدالة في المجتمع، فهو بمعنى آخر انطواء الذات على نفسها وخروجها عن المجتمع ومعاييره، أي الانفصال الكلّي عن المجتمع.

ب- الاغتراب السياسي:

هو " شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الانتخابات السياسية المعبّرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلّقة بمصالحه، واليأس من المستقبل على اعتبار أنّ رأيه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم به ولا يأخذ به."[2] نفهم من هذا القول أنّ الفرد يحسّ بالعزلة والبعد اتجاه دولته ووطنه وكذلك إحساسه بالعجز عن المشاركة السياسية.

وهو شعور بالانفصال عن النظام السياسي حيث لا يستطيع التأثر والتأثير فيه. "إنّ الفرد يشعر بعدم القدرة على التأثير في المجال السياسي عاجز عن إصدار قرارات سياسية فاقد لمعايير تشكيل نظام سياسي، وفي المقابل غير مرتاح ولا يشعر بالانتماء لما هو عليه الوضع القائم."[3]

[1]- حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، ص58.

[2]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص97.

[3]- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص350.

ت- الاغتراب الديني:

الاغتراب الديني في الإسلام جاء على ثلاثة أشكال، هي:

"اغتراب المسلم بين الناس، اغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين."[1]

كما نجد في حديث للرسول صلى الله عليه وسلّم: " بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، قيل من الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد النّاس."[2] والمقصود بالغرباء في الحديث هم أهل التقوى والصلاح الذين لا يتبعون الناس المفسدين.

أشار الفيلسوف الفرنسي "هنري برجسون Henri Bergson" " إلى أنّ مشكلة العصر الحاضر والمتمثّلة في الصراع بين طغيان الآلية وتضاؤل نصيب الروح، قد ترتّب عليها ذلك الفراغ بين الجسم والنّفس وظهور العديد من المشكلات النّفسية والاجتماعية والسياسية والدّولية."[3]

فالحاجات الروحية هي مشكلة تلازم الإنسان نظرا للمتغيّرات الكثيرة في مختلف مجالات تواجد الإنسان، ولذلك يجب الاعتناء بالجانب الروحي وتجاوز المشكلات التي تحيط بالإنسان.

[1]- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص351.

[2]- أبو زكريا محي الدين يحيى مسلم بن الحجاج، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ج2، ط2، 1392، ص175.

[3]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص102-103.

ث- الاغتراب النفسي:

يرى "محمد عبد اللطيف خليفة" أنّ الاغتراب النّفسي: "مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار أو للضعف والانهيار، بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتمّ في داخل المجتمع."[1]

حيث أنّ الاغتراب النفسي هو نمو مشوّه وغير كامل للشّخصية الإنسانيّة حيث تفقد إحساسها بالوجود والانتماء. فالاغتراب النفسي حسب "وايت White" هو "اغتراب عن الذات أيضا حيث يرتبط ارتباطا موجبا بالاغتراب عن المجتمع ومنهم من يذهب إلى أنّ الاغتراب غربة عن الذات."[2]

بمعنى أنّ الاغتراب النفسي هو عدم قدرة الفرد على التواصل مع ذاته وفهمه لنفسه بذلك يفقد الثقة في نفسه، وهو جوّ من الفوضى والضّياع الذي يختلج النّفس ويجعل الإنسان لا يعيش في عالمه، بل يعيش في عالم آخر، فالاغتراب النّفسي هو انعزال الفرد عن عاداته ومعتقداته مما يؤدي به إلى فقدان الإحساس بالذات.

ج- الاغتراب الاقتصادي:

هو شكل من أشكال الاغتراب والذي ارتبط مفهومه بالفيلسوف "كارل ماركس" هذا الأخير الذي يؤكد على فكرة انفصال واغتراب العامل عن عمله وعمّا ينتجه، يقول محمد خضر إنّ: "الاغتراب

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص81.

[2]- جديدي زليخة، الاغتراب، ص351.

الاقتصادي هو شعور العامل بانفصاله عن عمله."[1] وهذا ما يدفع بالعامل إلى عدم الانسجام مع العمل من خلال شعوره بالوحدة عن محيط عمله.

المجتمعات الرأسمالية تنظر للعامل على أنّه سلعة مثل المنتوج الذي ينتجه وغايتها الوحيدة هي المادة، تعطي القيمة الأكبر للمنتوج وتهمل العامل، هنا يشعر العامل بأنّه شيء تافه ولا معنى له، فيفقد ثقته بنفسه، ويصبح يعيش بطريقة آلية بعيدا عن علاقاته الاجتماعية في محيط العمل مما يؤدي إلى إحساسه بالاغتراب والانفصال عن عمله.

ح- الاغتراب الثقافي:

هو " ابتعاد الفرد عن ثقافة مجتمعه ورفضها والنفور منها والانبهار بكل ما هو غريب أو أجنبي من عناصر الثقافة."[2]

ويقصد به ابتعاد الفرد عن الثقافة الخاصة بمجتمعه والنّفور منها ورفضها ومخالفة المعايير الخاصة بها، كما يشعر الفرد أنّه منفصل ومغترب عن محيطه وبعدم انتمائه إلى الموروث الثقافي الذي يمثّله.

[1]- جديدي زليخة، الاغتراب، ص394.

[2]- سناء حامد زهران، إرشاد الصحة النّفسية لتصحيح مشاعر الاغتراب، عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004، ص11.

الفصل الثاني

أهم تجلّيات الاغتراب في الرّواية

1- خصوصية التجربة الروائية الحيدرية:

ارتأينا لتقديم صورة عن الرواية التي نحن بصدد العمل عليها أن نتناول أوّلا نبذة عن حياة الروائي "حيدر حيدر" وخصوصية التجربة الروائية عنده.

"حيدر حيدر" كاتب وروائي سوري ولد عام 1936 في قرية حصين البحر طرطوس، بعد إتمام دراسته الإعدادية سنة 1951، انتسب إلى معهد المعلّمين التربوي في مدينة حلب حيث واصل دراسته وتخرّج سنة 1954.

كان المناخ السياسي في بداية الخمسينيات مضطربا في سوريا بعد الهزيمة العسكرية في فلسطين، فانخرط "حيدر حيدر" في التيّار العروبي الوجودي مع زملائه من الطّلاب، وبعد انتقاله إلى دمشق اتصل فيها بالكثير من الأدباء والمثقّفين حيث تسود حركة أدبيّة وثقافية نشطة ومزهرة، فبدأ كتابته في الدوريات اليومية والشهرية، وكانت مجلّة الآداب اللّبنانية أبرز المنابر التي كتب فيها قصصه الأولى.

في عام 1970 غادر دمشق إلى الجزائر ليشارك في ثورة التعريب أو الثورة الثقافية كما يسميها الجزائريون، مدرّسا في مدينة عنّابة في الوقت الذي كان يواصل فيه كتاباته والنّشر في الدّوريات العربية.

نشر روايته الأولى الزمن الموحش عن تجربته في دمشق خلال سبعة أعوام، وانخراطه في المناخ الثقافي والسياسي، صدرت عن دار العودة في لبنان في العام 1973.

في عام 1974 عاد من الجزائر إلى دمشق ليستقيل من التعليم ويهاجر إلى لبنان وعمل في إحدى دور النّشر مراجعا ومصحّحا لغويا.

ترجمت له قصص إلى اللّغات الأجنبية: الألمانية، الإنجليزية، الفرنسية، الإيطالية والنرويجية.

2- ملخّص الرواية:

صورت لنا رواية "هجرة السنونو" للروائي السوري "حيدر حيدر" قضية شاب عانى في حياته من أجل الوصول لهدفه "هزيم إسماعيل" بطل الرواية والشخصية المركزية، يروي طفولته القاسية والصعبة مع أب صارم وحياته بين الريف والمدينة وذكريات طفولته ومراهقته.

غادر وهاجر هزيم من دمشق وتحديدا "طرطوس" إلى بيروت إثر زواج فاشل دمّره نفسيا، وهناك يلتقي بصديقه السوري "رئيف شاهين" الذي يعرّفه على المدينة وكلّ التفاصيل، كما يعرّفه على الشّخصية المثقفة "سامية عبد الأمير" حيث يؤسسان معا مجلّة ثقافية، ولكن سرعان ما يجد نفسه متّهما ومراقبا أمنيا بعلاقته بتنظيم من تنظيمات العراق، هذه التّهمة كلّفته هجرة أخرى لسنوات إلى قبرص ليعمل كمسؤول في القسم الثقافي في الموقف العربي.

وبعد معاناته واغترابه وتعرّضه لعدّة مواقف ولحظات من الأسى والألم والحزن وعبوره محطّات مختلفة، خوف، غربة، عزلة، اشتياق، حنين خلال هجرته، يُفاجأ باتصال من سفير سوري يعرض عليه العودة إلى وطنه ومسقط رأسه، وفي آخر الرواية يعود "هزيم" إلى بلده بعد تحدّيات كبيرة واجهها ليجد أهله وأصدقاءه في انتظاره.

3- مؤلفاته:

- حكاية النورس المهاجر (قصص) الطبعة الأولى 1968.
- الفهد الطبعة الأولى 1968.
- الومض الطبعة الأولى 1970.
- الزمن الموحش (رواية) الطبعة الأولى 1973.
- الفيضان (قصص) الطبعة الأولى 1975.

- كبوتشي (سيرة حياة ونضال كبوتشي) الطبعة الأولى 1978.
- الوعول (قصص) الطبعة الأولى 1978.
- وليمة لأعشاب البحر: نشيد الموت (رواية) الطبعة الأولى 1984.
- مرايا النار فصل الختام (رواية) الطبعة الأولى 1992.
- أوراق المنفى شهادات عن أحوال زماننا (وثائق) الطبعة الأولى 1993.
- غسق الآلهة (قصص) الطبعة الأولى 1995.
- شموس الغجر (رواية) الطبعة الأولى 1997.
- هجرة السنونو (رواية) الطبعة الأولى 2008.

ومن أكثر رواياته شهرة "وليمة لأعشاب البحر" التي صدرت سنة 1984 في سوريا والتي جرت أحداثها في مدينة عنابة (الجزائر)، حضر نشرها في عدّة دول عربية حيث تدور أحداثها حول مناضل شيوعي عراقي هرب إلى الجزائر، وهناك يلتقي بمناضلة تعيش عصر انهيار الثورة والخراب، وقد اتّهم "حيدر حيدر" بأنه يطعن في الإسلام والدين ويشوه قيم المجتمع.

مزج "حيدر" شكل حياته بجوهر أدبه، أغلب أعماله مستقاة من أحداث واقعية عاشها في مرحلة شبابه، كما يميل إلى الواقعية في كتاباته ومؤلّفاته ولعلّ التنويع الذي يثري كتاباته جاذبيته نتيجة تنقّله الكثير بين البلدان وتعرّفه على شخصيات مختلفة وأيضا بفضل قراءاته المتنوّعة وثقافته السياسية، وهذا ما جعل رواياته مميّزة ويمتزج فيها الشعر والنثر.

كانت مواضيعه تعنى بالقضايا المسكوت عنها، مثل: القضايا السياسية، الاجتماعية، الدينية، ما يتعلّق بالوطن حيث تتجلّى لديه ثروة لغوية مكثّفة شعريا، يدمج النثر بالشعر، وأحيانا الواقع بالأسطوري.

تميّز بأدبه الرفيع وكانت له بصمة خاصة في أعماله الرّوائية، قام بتوظيف الرموز والتراث ما أكسب أعماله رمزية، والتي نجدها تكتسي عناوين مؤلّفاته.

أمّا بالنّسبة للغة التي يوظّفها فهي لغة شعرية فائقة الإبداع، لغة شعرية بهيّة وعذبة لها عمق وبعد باطني، دارت حول الزمن والمكان والوطن والحب والحرب والهويّة الضائعة في تداخل شعري وهذا الأخير يعدّ تيَّارًا جديدا في كتابة السّرد.

هذا ما جعله يتميّز بأسلوب متفرّد في كتابة القصّة والرواية، له نكهته وتأثيره وجاذبيّته الخاصّة، فلم يكتب إلّا بعد أن حفّزه موضوع ما، لذلك اتّسم أدبه بالصّدق والعاطفة النّبيلة.

التّيمة التي ارتكز عليها الرّوائي "حيدر حيدر" في أغلب أعماله هي تيمة الاغتراب فهي تعكس على نحو ما انفصاله عن واقعه وبعده عن وطنه هروبا من الاضطرابات السياسية وهذه السّمة التي ميّزت أدبه، نصبته على هرم الرّواية الاغترابية في العالم العربي.

في رواية "هجرة السنونو" إبراز لظاهرة الاغتراب بأشكالها المختلفة وبصورة بارزة وواضحة، تمَّ ذلك على مستوى شخصية "هزيم إسماعيل" ومختلف الشخصيات التي تتمحور حولها الرواية.

يمرّ "هزيم إسماعيل" عبر محطّات هامّة في حياته، ولعلّ من رمزية اسم "هزيم" نعرف أنّه تعرّض لهزائم وخيبات، وهو نموذج للمثقّف العربي المنفي والمغترب الذي يشعر بالهزيمة والبعد عن الوطن.

يقول الكاتب على لسان هزيم: "والآن أنت بلا وطن أيها السيد الهارب، ولا بيت ولا امرأة، رجل فائض ومعوم تتشرد فوق سطوح مدن العالم."[1]

[1]– حيدر حيدر، هجرة السنونو، دار النشر ورد للطباعة والنشر، سوريا، 2008، ص30.

توغل الاغتراب في كلّ النّسيج البنائي للرواية وهذا ما نلاحظه في العناصر البنائية من: العنوان، اللّغة، الشخصيات، الزمان والمكان.

فلا يمكن أن نكتشف العوالم الخيالية دون الإلمام بهذه العناصر التي "يتكوّن منها العمل الأدبي من شخوص وفضاء وبنية زمنية ورؤية سردية وأحداث."[1] وكلّ هذه العناصر أساسية في البناء الروائي وتشكيلة.

4- رمزية العنوان وإيحائياته:

بات من المعروف اليوم أن العنوان هو العتبة الأولى التي يخطوها القارئ للولوج إلى بواطن النص الروائي وعوالمه الداخلية، و هذا يعني أن العنوان ليس ظاهرة نصية ثانوية حافة بالمتن الروائي، وإنما هو مكوّن محوري من مكونات النص الروائي، ومظهر دلالي فاعل لا غنى عنه، ونظرا لأهميته الكبيرة فقد بات محل اهتمام العديد من النقاد والدارسين الذين لا يتوانَوْن عن فكّ شفرته واستنطاق دلالته ومعانيه، وهذا من منطلق أن «العنوان بنية عامة قابلة للتحليل والشرح، تغري بالفهم والتفسير، لاختزاله النص بتضاريسه السطحية والعميقة. فالعنوان يشكل خطابا مستقلا في حد ذاته، ودراسته تفتتح مشهدا كاملا من العلاقات والدلالات داخل العمل الروائي. وتضيء على المدى مراميه وإيحاءاته، وتختصر مقاصده ومضامينه، وتصور الدلالة الحقيقية التي ينطلق بها النص، وتقربها من المتلقي»[2].

وهو الأمر الذي يؤكده عنوان الرواية التي نحن بصدد دراستها " هجرة السنونو"، الذي يعد بحق مفتاحا تأويليا يمكن عَبْرَه الوصول إلى دلالات النص، حيث يلحظ المتمعّن ورود العنوان في شكل مركّب اسمي إضافي مكون من كلمتين: مضاف وهو اسم نكرة ومضاف إليه وهو اسم معرف (هجرة+ السنونو)، وهما يكوّنان وحدة

[1]- نزيهة خليفي، البناء الفني ودلالته في الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب، ط1، 2012، ص163.

[2]- فارس توفيق البيل، الرواية الخليجية (قراءة في الأنساق الثقافية)، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016، ص53.

لغوية واحدة ما يجعلهما بمنزلة اسم واحد منفرد لانتقال أثر التعريف من المضاف إليه إلى المضاف. وكما هو جليٌّ، يتبدى من عنوان الرواية، أن حيدر حيدر يجذب الدلالة نحو دائرة التحديد المسبق، حيث لا تستكمل دلالة الهجرة إلا باندماجها الدلالي مع ما أضيفت إليه وهي كلمة السنونو التي تكتنز بقوة المعنى والدلالة، فالسنونو نوع من الطيور المهاجرة ينتقل من بلد إلى آخر وهو دائم التحليق ولا يقبل الأسر، حيث أن هجرته من موطنه تعود لأسباب منها: الهروب من الطقس القارس والبارد في الشتاء إلى المناطق ذات الطقس الدافئ أو البحث عن مصادر الغذاء والماء في أوقات الجفاف، فهو يتميّز ببحثه الدّؤُوب عن مسكن وعيش جديد يلائم نمط حياته، وبعد انقضاء الفترة الموسمية يعود إلى وطنه.

ورد ذكر هذا الطائر في النّصوص المقدّسة، كما تكرر ورودها في النصوص الإبداعية قديما وحديثا لما تحمله من رمزية، كما يرمز إلى الطائر المهاجر الذي لا يستقر في موطن واحد ويحمل عدّة دلالات منها الهجرة، الاغتراب البعد عن الوطن وآخر للتفاؤل والأمل أيضا.

ومن الأدباء الذين استحضروا هذا الطائر في أعمالهم الأدبية "محمود درويش"، "نزار قباني"، "حيدر حيدر."

أطلق على بطل روايتنا "هزيم" اسم السنونو لأنّه نفي وهجر من بلده لظروف أرغمته على ذلك، كما وصفته إحدى الشخصيات بـ: "السنونو المهاجر."[1]

وأطلقت عليه أمّه هذا الاسم أيضا لعودته إلى أحضانها بعد غياب طويل "السنونو عاد."[2]

[1]- الرواية، ص65.

[2]- الرواية، ص332.

وزبدة القول: اتّسم عنوان رواية "هجرة السنونو" برمزية إيحائية وقوّة تعبيرية، تجذب لقراءتها والغوص في أعماقها، فالعنوان مرآة مصغّرة للنّص الذي بين أيدينا وعبارة عن صورة رمزية يتماهى فيها المرجعي مع البعد الإيحائي ويتلاشى نور الحقيقة لتعوّضه دلالات التضمين الرمزي.

5- تجلّيات الاغتراب في الشخصيات الروائية:

6-1 الشخصيات الروائية:

الشخصيات الروائية هي الرّكيزة الأساسية والهامّة في المتن الروائي، وتتكون بواسطتها الأحداث ولكلّ شخصية دورها الفعّال في الرّواية بحيث يقوم المؤلف أو الكاتب بإنشاء وتوزيع الأدوار بما يتناسب مع كلّ شخصية، فهذه الأخيرة تحتل مكانة هامة في بنية الرواية، وهي وسيلة تساعد الروائي في التعبير عن رؤيته وما يختلج نفسه.

الشّخصيات في الرواية نوعان، شخصيات حقيقية يمثّلها البشر ولها وجود في الواقع كشخصية "هزيم " وشخصيات خيالية لا وجود لها.

تنقسم الشخصيات إلى قسمين هما شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية.

أ- الشخصيات الرئيسية:

هي الشخصية التي تتمحور عليها أحداث الرواية، والركيزة الأساسية التي يقوم عليها العمل الأدبي، كما أنّ مستوى حضورها في الرواية أكبر من باقي الشخصيات، بحيث أنّ السارد يولي لها أهمّية وعناية كبرى ويجعلها تتصدّر قائمة الشخصيات.

ومن بين الشخصيات الرئيسية في روايتنا:

هزيم: بطل الرواية، كانت هذه الشخصية حاضرة منذ بداية الرواية إلى نهايتها حيث كان "هزيم" يسرد ذكرياته الراسخة في مخيّلته من زواج، اغتراب عن الوطن، طفولة، مراهقة، ينتقل بين أحداث حياته بطريقة فنّية.

كما يستذكر الماضي الأليم الذي عاشه وهجرته من طرطوس إلى بيروت بعد زواج فاشل.

اعتمد الروائي على أسلوب الحوار والحديث الداخلي للشخصيات، كما فسح المجال لكلّ شخصية أن تعبر ونسرد ما تعانيه.

يقول هزيم:

"الحياة حياتي، التي عصفت بها الرياح الهوج فبددتها، وأنا على أهبة السّفر، تساءلت إن كنت أبحث في هجراتي عن أحزاني الضائعة، عن روحي التي تاهت في المفازات والبلدان الغريبة والأزمنة الضيّقة."[1]

تارة أخرى يكلّم نفسه:

"أقول لنفسي دونما إحساس بالغربة."[2]

كثير من التساؤلات كانت تراود هزيم فكان يلجأ للحوار مع ذاته، إما لاسترجاع الذكريات والمكبوتات أو أحداث مرت في حياته وتركت بصمة فيه.

يقول: "حين أنعزل وحيدا في مقهى "عروس البحر" أعبر مجرّات من التأمّل الداخلي كيف حدث ما حدث؟ وهل ما قمت به وما تلاه من رحيل كان صائبا؟ وإلى أين المآل في نهاية المطاف؟

وإذا ما انفجرت الحرب ما مصيري وأين سأكون؟

---

[1]- الرواية، ص10.

[2]- الرواية، ص15.

وهل إذا نجوت من الموت سألوذ بمدن أخرى؟"[1]

هو خائف وعاجز، دائم التفكير إذا ما انفجرت الحرب هل سينجو، فهو مغترب وبعيد عن وطنه وأهله.

حديثه مع نفسه تواصل في عدّة مقاطع، قائلا:

" وتساءلت: أي قدر أو مصير سنؤول إليه إذا ما كنا محكومين بهذه الموروثات؟"[2]

وتتواصل حواراته الذاتية خاصة عندما يكون منعزلا ووحيدا فتتبادر الكثير من الأسئلة لذهنه.

رئيف شاهين: صديق "هزيم" السوري الذي يقطن في بيروت ودليله في التعرّف على المدينة الجديدة بكلّ تفاصيلها.

كان مطلوبا سياسيا واعتُقِل، عُذّب بمختلف أنواع التعذيب، لكن بعد خروجه وعده أخوه العقيد بأخذه على عاتقه شرط ألّا يعود للعمل السياسي.

" لم يكمل رئيف دراسته الجامعيّة، اعتقل وهو في السنة الثالثة بكلّية الآداب مع مجموعة من كلّيات أخرى بتهمة نشاط سياسي معادي للنّظام. بعد التحقيق عبر حالات منشطة للجسد تحت إيقاعات الصفع والرّكل وأزيز السّياط، والتعليق باليدين في السّقف، والحروق بالسّجائر في المناطق الحساسة، جاءت المنشّطات النّفسية عبر البذاءات والشتائم، والأصوات اللّيلية لعذابات المعتقلين، والتّهديد بالقتل والحرمان من الخروج إلى ساحة التنفّس."[3]

[1]- الرواية، ص30.

[2]- الرواية، ص31.

[3]- الرواية، ص38-39.

بعد خروجه بكفالة، وُضِعَ تحت المراقبة الأمنيّة، وقد هاجر إلى بيروت، كان يعاني ألم الاغتراب والبعد عن الوطن واشتياقه لرائحة الوطن، لكن الظروف السياسية وكلّ ما أرغمه على الابتعاد جعلوه يتذمّر من الحروب وأوضاع البلد.

يقول بطل الرواية على لسان رئيف:

"يرشق الأنظمة العربية المنحطة والمستبدّة والمعادية لشعوبها للمقاومة بحفنة من الشتائم."[1]

يضيف رئيف متذمّرا:

"أخي هزيم خليها تخرب وتحترق، لا أخي لبنان بلاد العرب، ألا ترى كيف أننا خارج التاريخ يا رجل.

نحن لا نخسر شيئا إذا ما انفجرت هذه الأرض المزبلة التي تفوح منها روائح الاستبداد السياسي والطائفيّة والعماد الديني."[2]

يشعر رئيف بالتهميش والانفصال عن وطنه وليس بإمكانه تغيير أوضاع بلاده، وشعوره باليأس والعجز.

إيفا السعدي: امرأة جميلة ومثيرة مهوى الرجال، عندها علاقات مع رجال الأعمال وصحافيين بارزين وسياسيين.

" كانت في الثانية والعشرين حين تزوجت الزوج رجل أعال في الخامسة والأربعين من العمر، لا توال في الجامعة تدرس الأدب الفرنسي، حين زوّجتها الأسرة زواج تجاري صفقة كما يعبر رجال الأعمال."[3]

[1]- الرواية، ص16.

[2]- الرواية، ص16-17.

[3]- الرواية، ص72.

كان زوجها كريما وعاشقا لها، لكن سرعان ما اكتشفت علاقاته النسائية والتي كان يسميها هو علاقات عمل، حيث كان مرتبطا ومتورّطا في شبكات أمنية وسرّية وقيامه بمهمّات سياسية.

بعد زواجها لم تحصد إلّا الخيبة والمرارة والنّدم حسب قولها فأحسّت أنّ حياتها ذهبت سدى، وفي آخر المطاف تطلّقت.

كما كان تشارك في النشاطات السياسية، يقول رئيف:

"كانت إيفا ومجموعة من الطالبات يشاركن في النشاط السياسي."[1]

بعد طلاقها وإحساسها بالخيبة والشعور بالاغتراب عن نفسها، أوّلا وطّدت علاقتها مع رجال الأعمال والسياسيين وأحسّت بالحرّية ونجاتها من الزواج الفاشل، تقول:

"لست نادمة، جبل كان فوق صدري وانزاح، أنا الآن حرّة تركت له كلّ شيء ونجوت بنفسي."[2]

مها القادري: امرأة متزوّجة عن حب خارج رغبة أهلها، تعيش وحيدة مع ابنتها بعد هجرة زوجها لها، فهو رجل مقامر وزير نساء، تزوجت به طمعا في ماله وجاهه.

تركها وحيدة دون حماية وكانت دائمة الشعور بالوحدة والخوف من السياسيين والعجز عن تحسين ظروفها، تقول:

" أنا امرأة وحيدة... وهم يعرفون أنني مهجورة"[3]

تشعر بالاغتراب والوحدة في المجتمع، وهي التي تبحث عن الأمن والأمان قائلة:

[1]- الرواية، ص108.
[2]- الرواية، ص73.
[3]- الرواية، ص113.

" أنا وحيدة ومتروكة للذّئاب.."[1]

تضيف:

"ليتني لم أولد، الآن أعرف مصيري، تخلّى العالم عنّي حين تخلّيت عن نفسي وانسقت في دروب الشّهوات، امرأة ملوّثة ومنتهكة، سافلة في عالم نقيّ جدّا، مطهّر جدا من الدّنس، والآن تتساوى الأشياء الحياة والموت."[2]

وحين استنجدت بوالدها راجية منه حمايتها رفض ذلك، قبل بابنتها وهي رفضها، قائلا:

" خالفت أوامري وعصيتني، تزوجت من حثالة طمعا بماله وجاهه، وغد لا شرف له ولا ضمير ولا دين سوى المال والتّمرغ كخنزير بين أقدام المسؤولين، حذّرتك مرارا ولم ترعوي، أخيرا وبعد أن استولوا على شركاته وأمواله وطردوه رماك كنفاية وحوّلك إلى عاهرة تريدين مني حمايتك، قسما برب العباد لولا خوفي من الله ويوم الحساب لذبحتك كالنّعجة ورميتك للكلاب."[3]

لم يقبل والدها مساعدتها وحمايتها لأنها عصته، فظلّت دون ملجأ وسند تستند إليه، كانت تشعر بالخطر والخوف يهددان حياتها.

سامية عبد الأمير: صديقة إيفا، يئست من العمل في العراق بعد وقوعه في قبضة الديكتاتورية العسكرية، انتقلت إلى بيروت بغية إنجاز مشروع ثقافي، انتهى زواجها بالطلاق.

[1]- الرواية، ص130.
[2]- الرواية، ص131.
[3]- الرواية، ص131.

كانت تذمّ النّقاشات السياسية لأنّها هربت وانتقلت إلى بلاد جديدة هروبا من الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في العراق، وفي إحدى النّقاشات مع الأصدقاء، تقول:

" دعنا نخرج من أجواء الحرب والسياسة."[1]

ابتعدت واغتربت عن وطنها لاجئة للأمن والأمان، تضيف:

" أنا هربت من دكتاتورية العراق لأقع تحت مراقبة الأمن السياسي السوري."[2]

ولكن لم تنجُ فقد اتهمت بالولاء للنّظام العراقي، وكانت مراقبة فقررت الابتعاد والسّفر مرّة أخرى إلى لندن.

ب- الشخصيات الثانوية:

تساهم بشكل كبير في مجمل مسار الأحداث وصياغة نسيج الرواية، تضيف نوعا من التشويق وتعمل إلى جانب الشخصيات الرئيسية وتساعدها في ربط الأحداث بعضها ببعض.

ومن بين الشخصيات الثانوية:

معلم آغوب: شخص عمره حوالي الخمسين، صارم وقليل الكلام ما عدا مع من يعرفهم، صاحب مطعم صغير مشهور بمأكولاته، ورثه عن والده.

"وحده يدير هذا المطعم الذي ورثه عن والده بعد هروب الأسرة من مذابح الأرمن والمجزرة التي ارتكبها الأتراك حين لجأت أسرته إلى الشمال السوري ومنطقة الجزيرة مع آلاف الفارّين من المذبحة."[3]

[1]- الرواية، ص235.

[2]- الرواية، ص292.

[3]- الرواية، ص29.

مدام إلين: امرأة أرمنية، تملك منزلا وغرفتين للإيجار والثالثة لها، الصالون للقمار، يجتمع فيه شلة من المدنيين والعسكريين من ذوي الرّتب الصّغيرة، تقامر معهم أحيانا، في إحدى الغرفتين يسكن رئيف شاهين.

شوقي نصر الله: شاب جنوبي من بلدة الخيام، زميل هزيم في العمل، من المثقّفين الخارجيين، يشبه اللّبنانيين، بلدته واقعة تحت سيطرة جيش لبنان الجنوبي.

عبد الوهاب الكيالي: دكتور في السياسة والاقتصاد خريج جامعة هارفارد، مدير المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، قيادي بارز في إحدى الفضائل الفلسطينية غير الموالية لعرفات.

اختلفت الشّخصيات الروائية التي بنيت عليها الرّواية بين شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، فكلّ شخصية كانت لها علاقة مع شخصية أخرى مما شكّل عملا منسجما.

نلاحظ أنّ أغلب الشخصيات التي تطرّقنا لها تعاني من تراكمات أثّرت على حياتهم فحوّلتهم من شخصيات منتمية لذاتها ووطنها ومجتمعها وراضية بواقعها إلى شخصيات مغتربة رافضة للمبادئ السائدة في محيطها، وهذا ما دفع بأغلب الشخصيات باللّجوء إلى المنفى.

كما نستنتج من خلال دراستنا لهذه الشخصيات إحساس معظمها بحالة من الضياع والبعد وتجرّعهم لكؤوس الاغتراب بأشكاله المختلفة، خاصّة "هزيم" الذي يعاني في الغربة من البعد عن الأهل والوطن، فكان دائم القلق والارتباك من مصيره المجهول، الانفصال عن الوطن والابتعاد عنه عذاب يشقّ النّفس مدى الحياة.

6- أشكال الاغتراب في الرواية:

أ- الفضاء الزّماني والاغتراب:

الزمن من المكوّنات الأساسية التي تشكّل بنية النص، حيث يربط الماضي والحاضر والمستقبل عن طريق الاسترجاع أو التّذكر والتفكير في المستقبل.

الاغتراب الزماني يكون من خلال ما يأخذه الإنسان من حاضره باسترجاع أحداث سابقة أو عن طريق التنبؤ بالمستقبل على أنّه "كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد، استذكارا يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النّقطة التي وصلتها القصّة."[1]

فهو استحضار أحداث إلى الحاضر وقعت في الماضي من أجل فهمها والربط بينها مثلما ورد في روايتنا، خاصّة في شخصية هزيم.

كما أنّ الروائي يخلط بين الأحداث لكي يخلق عنصر التشويق، فنجده يروي حدثا، لكن سرعان ما ينتقل إلى حدث آخر في زمن آخر مخالف للأوّل، فهنا القارئ يتشوّق لمعرفة ما حصل وما سيحصل.

لقد تجلّت في مقاطع عديدة في الرّواية، حيث تمّ استرجاع هزيم لذكريات كانت تجمعه بزوجته، منها:

" أنت لن تعود

في السرير ونحن على أبواب المسرّة واللّذة تشاجرنا للمرّة المليون

كانت تلك ليلة ما قبل الرحيل.

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص121.

استدارت كاشحة جسدها والتصقت بالجدار في شبه الظلمة قرب حزمة ضوء القمر التي انسكبت من النافذة.

استندت إلى الحاجز الخلفي للسرير وأشعلت سيجارة.

كنت في الظليل

على حافة الضوء والظلمة.

كنا في الصمت العاري."[1]

يسرد هنا "هزيم" بطل الرواية وضعه مع زوجته وهي تتساءل حول موضوع عودته أو عدمها بعد سفره، كانت تلك ليلتهم الأخيرة مع بعض بعد شجاراتهم العديدة ويتّضح أن علاقتهم كانت متوترة يسودها الصّمت والفراغ.

ثمّ يعود إلى سرد أحداث وصوله إلى بيروت وحلمه بالرحيل والسفر منذ صغره، يقول:

" منذ بداية وعيي للعالم كنت أحلم بالرحيل والرّغبة الملحّة لاكتشاف العالم.

الآن يبدو أن زمن تحقيق الحلم قد حان."[2]

من بعد ذلك ينتقل إلى وصف استقبال صديقه رئيف له وهو يرحب به، قائلا:

" أهلا، أهلا برائحة الوطن، كيفك، كيف البلاد والأهل."[3]

[1]- الرواية، ص9-10.

[2]- الرواية، ص11.

[3]- الرواية، ص12.

فيبدأ استرجاع هزيم للأوضاع المأساوية والأحداث التي وقعت في البلاد وحنين رئيف واشتياقه لوطنه، يظهر هذا في المقطع الحواري الذي جرى بين هزيم ورئيف.

" في أمسياتنا الخاصة في البيت سنتحدّث طويلا عن أحوال البلد التعيس المحكوم بالخوف والأمن، يبدو رئيف مأخوذا بحنين سرّي غامض وحزين، وجهه الصبوح، وهو يجلجل بالضحك حول حادثة ساخرة وهزلية من أحداث الوطن، يختلط بالمرارة.

ونحن نتحدث عن الاستبداد والفساد وهيمنة الأمن، تلمح دمعة تكاد تطفر من عينيه الصغيرتين، تكاد تحس بنبضات قلبه وهي تخفق أسى وغيظا.

باشمئزاز يهز رأسه وهو يتمتم:

لقد زرعوا البغضاء والانقسام في أعماق النّفوس، قذفوا بالبلد إلى هاوية الطوائف الكريهة."[1]

يقول هزيم عن صديقه رئيف عند نقاشاتهم حول مواضيع السياسة والبلد:

" هو الآن ربّما يستعيد ماضيا منسيا عشناه معا في دمشق، ماضٍ قديم يوثوبي، يبدو الآن عبثيا وخاويا قررت نسيانه والخروج منه بحركة هروبية قد لا تكون مجدية."[2]

يتواصل الاسترجاع في الرواية عبر شخصية "هزيم" واستذكاره لطفولته والزمن النقي، ووصفه للبيت الذي نشأ وترعرع فيه، يقول:

[1]- الرواية، ص 12-13.

[2]- الرواية، ص17.

" بيتا العائلة ردهة ترابية فسيحة غير مفصولة سوى بغرفة المؤونة، القسم الأعلى قليلا أرضه بيضاء مخصص للمبيت والسّهر، وسطه موقد الحطب السفلي للحيوانات والعلف وبين القسمين درج صغير من الحجر المطين."[1]

يواصل:

" الطفل الذي يحبو في صحن البيت الترابي وهو يبعثر الأشياء ويخنق الطيور عن غير ما قصد وهو يداعبها، ليس الرجل الراهن الذي يستعيد مدارات الأزمنة الآن."[2]

نلاحظ أنّ السارد لا يتبع التسلسل المنطقي للوقائع الحكائية، يعود للوراء ليسترجع أحداثا قد وقعت في الماضي، ثمّ ينتقل للتحدّث عن الحاضر، هكذا يترك القارئ في تشويق ويمتعه بقراءة ما تبقى ليعرف ما حدث وما سيحدث.

يواصل البطل السرد:

" وإذ تفكّر بالزمن الماضي وجريان نهر الحياة وأحداثها، تقول:

يا له من كابوس مضى!

وتكاد ترتاب بوقائع الماضي: هل وجد حقا؟"[3]

[1]- الرواية، ص20.

[2]- الرواية، ص21.

[3]- الرواية، ص22.

هزيم لم يتوقف عن استذكار الماضي وحياة الطفولة، فهو يسافر بنا عبر محطات مختلفة من حياته يصف والده " كان الأب متدينا صوفيا على نحو ما، بعيدا عن التّزمّت والتّعصب الأعمى."[1] أما والدته " امرأة وديعة عطوفة وكريمة في عطائها، هي الأخرى متدينة رغم أمّيتها."[2]

كما يكمن اغترابه الزماني في سرده حكايته عن الماضي ومحاولته التّجرّد من الزمن الذي عاشه وتناسيه، إلا أنّ هذا الزمن رغم مروره فحضوره في زمنه النّفسي قائم، بحيث يعيش هزيم في صراع بين الماضي والحاضر وإحساسه بالوحدة والبعد، يظهر ذلك في قوله:

" حين أخلو لنفسي وحيدا في البيت الجديد أشعر بأنني مؤرجح في فراغ، المدينة تدوي بضوضائها اليومية وزمنها الرّاكض واللّاهف باتجاه الثّروة والمال وبورصة الدولار والصّفقات... أبدو خارج هذا الزمن، أعيش على هامش المدينة."[3]

هزيم عاش طفولة صعبة نوعا ما في الرّيف، خاصة مع والده الذي يصفه بالصّارم "تبدأ متاعب الأيام وشقاءاتها من المدرسة إلى الشجارات مع التّلاميذ، ثمّ عقوبات الأب الصارمة."[4]

" الأب الغاضب أبدا، المهاب في البيت الذي طردني وأمي تحت الرّعد والمطر ذات ليلة إلى بيت جدّي، أهذا هو الذي ربطني بعمود البيت وجلدني حتى الإدماء! هو الذي إذا ما صرخ في وجوهنا نشعر بالزلزلة."[5]

يظلّ ينتقل بين طفولة صعبة وشباب وزواج فاشل وهروبه من مكان إلى آخر.

[1]- الرواية، ص23.
[2]- الرواية، ص35.
[3]- الرواية، ص42.
[4]- الرواية، ص46.
[5]- الرواية، 146-147.

مرّة أخرى يعود بنا إلى استرجاع ذكريات ماضية جمعته مع زوجته التي كان في شجار دائم معها، والتي كانت تسخر منه حسب قوله:

" المرأة التي غادرتها كانت تسمّيك ساخرة بالدنجوان أو زير النّساء، ولأنّها غيورة وامتلاكية اختصمتما مرّة ومرّات، وكادت الشجارات تصل حدود الإيذاء الجسدي."[1]

كما نجد أيضا استرجاع هزيم المتكرر لذكريات شبابه وسنوات المراهقة، وما عاشه مع هالة وحنان:

"من الذاكرة الفوضويّة تنبثق صورة مراهق ومراهقة يستلقيان على الأرض العشّبة تحت زيتونة في الكرم الكائن سرق ملعب المدرسة أرسم لحنان حلم الجزيرة الخيالية، ألون الحلم بالبطولات الخارقة كما روبن هود الذي شاهدته في أوّل فيلم أحضره في سينما الدّنيا."[2]

ثمّ يواصل مستذكرا وواصفا صديقته هالة:

" الفتاة الطويلة بثوبها الوردي، وشعرها الطويل وابتسامتها العذبة تبدو له شبيه ملاك سماوي هبط الآن من الجنّة وهي تغنج كغزال، يخفق القلب لمرآها، ارتعاشة عشبة بلّلها ندى الفجر."[3]

هو يتذكّر ذلك الماضي وتلك المغامرة، ويتساءل حول نوع تلك العلاقة الغريبة مع صديقتيه.

هزيم ينتقل بذكرياته إلى زمن الطفولة واللّهو الصّبياني وحالته التي يعيشها بين يأس واضطراب وبين علاقته الزوجية التي خرج منها فاشلا ومهزوما، فهو في صراع دائم بين الماضي، الحاضر والمستقبل.

[1]- الرواية، ص52.
[2]- الرواية، ص63-64.
[3]- الرواية، ص64-65.

وهذا ما تطابق مع صديقه رئيف الذي هاجر من بيت أخيه هروبا من زوجته والسّلطة السياسية، كما أنّه وصف مؤسسة الزواج بالمؤسسة الحمارية.

رئيف يسرد مستذكرا ما عاشه في بيت أخيه:

" قبل أن أهرب إلى هنا عشت عاما في بيت أخي المتزوج، يا رجل لديه امرأة لا يمكن أن تكون إلا من نسل الشيطان امرأة مستبدّة، غيورة امتلاكية وأنانية، ربّها المال والثّياب والموضة والمكياج والتنقيب ولو تحت أظافر زوجها بحثا عن آثار امرأة."[1]

يقاطعه هزيم ساخرا:

" فررت منها إذن لا من السّلطة السياسية."[2]

يرد رئيف:

" من الشيطانين معا."[3]

كان الصديقان يعانيان من ألم الغربة والبعد عن وطنهم فيحنان تارة، يسترجعان الذكريات الجميلة منها والسّيئة التي حصلت لهما في الماضي في وطنيهما، بين أهليهما وأصدقائهما، فهذه الذكريات أصبحت تعيش معهم كلّ لحظة، كانا يعانيان من الاغتراب الزماني والبعد.

من خلال غوصِنا في أعماق رواية "هجرة السنونو" أدركنا مدى تأثير عنصر الزمن على الرّواية، والذي زادها جمالية من خلال انعكاسه على الشخصية وجعلها تعيش على ذاكرة استرجاع الماضي، كما تجسَّد حضور

[1]- الرواية، ص18.
[2]- الرواية، ص18.
[3]- الرواية، ص14.

الاغتراب الزّماني في الرواية من خلال ما كان يرويه "هزيم" وحكاياته عن الماضي واغترابه الاضطراري عن الوطن وتشتته عبر المنافي، فالراوي وظف ما يسمى بـ"تداعي الذكريات" لدى البطل في استرجاع ذكرياته الشخصية في مسقط رأسه. كما حملت ذكرياته في طيّاتها الكثير من مشاعر القلق، الحزن، الخوف، فقد عانت الشخصية الرئيسية وباقي الشخصيات من حالات اغترابية أثّرت وانعكست عليها بالضّياع، الابتعاد والاغتراب.

ب- الفضاء المكاني والاغتراب:

المكان له أهمّية كبيرة في الرواية، وهو العنصر الرّئيسي في العمل الأدبي، فهو فضاء يحتوي كلّ العناصر الروائية بما فيها من شخصيات وحوارات، ويتمثّل الاغتراب في مجموعة المشاعر والأحاسيس التي تراود الإنسان جرّاء اضطراره إلى الانتقال للعيش من مكان إلى آخر.

وبعد مغادرة هزيم وطنه ومسقط رأسه، ليعيش رحلة جديدة تبدو لنا تجلّيات الاغتراب والمعاناة.

ينطلق الاغتراب في الرواية من خلال مغادرة هزيم لطرطوس وولوجه لعالم جديد ومدينة وناس جدد قائلا:

" أشعر أنني ألج عالما جديدا، عالم ينبض بالحرّية والنقد في بيروت مدينة الفسيفساء."[1]

ويواصل محاولا التّهرّب من إحساسه بالاغتراب والبُعد:

" بدوت وأنا أنسحب من زمني القديم شبيه رجل أعشى، يتعثر في عالم الضباب، ومع أنني كنت مغتبطا بهذا التغير المناخي والعالم الجديد، ممتلئا برغبة الاكتشاف والتوق للحرّية، غير أن شيئا ضاغطا كان ما يزال يثقل روحي، عزوت الأمر إلى الآثار القديمة المتراكمة."[2]

[1]- الرواية، ص15.

[2]- الرواية، ص30.

يشعر هزيم بالوحدة والضّياع خاصة عندما يخلو بنفسه في مكان معيّن، يقول:

" حين أنعزل وحيدا في مقهى "عروس البحر" أعبر مجرات من التأمل الداخلي، كيف حدث ما حدث؟ وهل ما قمت به وما تلاه من رحيل كان صائبا؟ وإلى أين المآل في نهاية المطاف.

والآن أنت بلا وطن أيها السيّد الهارب، ولا بيت ولا امرأة، رجل فائض ومعوّم، تتشرّد فوق سطوح مدن العالم."[1]

صار هزيم يحس بالغربة وعدم الانتماء حتى بعد هجرته التي كانت هذه الأخيرة حلما يصبو إليه.

" شوارع المدينة وخطواته فوقها أبنيتها ساحاتها وفضاؤها، حلمه القديم بالهجرة إليها، المطاعم والمقاهي والحدائق، الحوانيت والمكتبات ودور السينما والملاهي والبارات حتى البشر، تبدو الآن في الطرف المقصى من الذاكرة ما عاد لديه أي إحساس بالانتماء إلى هذه المدينة المضجرة والكابوسيّة."[2]

ثمّ يضيف:

" حين ستهاجر وتقسوا الغربة جائمة كالصّخرة على وتين القلب، ستقبل المدينة القاسية والحنون، ساحرة وسخية سخاء مها القادري في اللّيالي العذبة والشهية."[3]

عند هجرته من بلده اختار بيروت التي تتسم وتتميز بالفرح والحرية.

" لا أحد ينظر إليك هنا، كما لا أحد يعرفك.

[1]- الرواية، ص191.
[2]- الرواية، ص256.
[3]- الرواية، ص256.

أقول لنفسي دونما إحساس بالغربة.

هي ذي مدينة محايدة غير فضولية لا تهتم بالآخر."[1]

هذا مقطع حواري بين هزيم ونفسه يوضح غبطته وسروره عندما وطأ بيروت وإعجابه بها، لكن المقاطع التي تطرقنا لها من قبل وضّحت وكشفت أنه بعد مدّة بدأ يشعر باغترابه وخصوصا بعده عن أهله وبلده وحنينه للأماكن التي نشأ فيها.

تغيّرت نظرته لبلد الحرية كما سماه مع تغير الواقع السياسي فيها، فهمَّ بمغادرته وصديقه رئيف وبداية رحلة جديدة.

" قبل خروج المقاومة من بيروت في العشرين من آب تداولت مع رئيف حول استحالة بقائنا في بيروت المحاصرة من قوات الغزو الإسرائيلي.

كان الوداع مريرا ومخضبا بالدّمع، ولم يخطر في البال أنّه الوداع الأخير.

رحل مع زوجته وابنتيه مع المقاومة إلى تونس، وبعد شهر غادرت إلى قبرص للعمل في الصحافة العربية المهاجرة."[2]

كانت الرّحلة الجديدة مثل مثيلاتها "يبدو إيقاع الحياة في نيقوسيا مملا وبليدا، وبعد أقلّ من عام سأشعر بالتّصحر في الجزيرة التي سأسمّيها في يومياتي: جزيرة النعاس الأزرق."[3]

[1]- الرواية، ص15.

[2]- الرواية، ص319.

[3]- الرواية، ص321.

لا شيء جديد، هزيم يشعر بالملل والضجر في قبرص، ويرى أنّ الصّيد والسّباحة مع بعض الأصدقاء هو الحلّ ليزيح عنه كابوس الضّجر.

بعد سنوات من الغربة يتفاجأ هزيم بدعوة للعودة إلى مدينة دمشق بعد مروره بمحطات عديدة في حياته أرغمته على الاغتراب والابتعاد والتّخلي عن أسرته، شعر أنّه في حُلم هل يصدّق أم لا.

" لم أصدّق وأنا أعانق أولادي الذين كبروا في غيابي، وأصدقائي خارج قائمة التفتيش، أشواق ورعشات ودموع.

عبرات الفرح كاللآلئ بين عشب العيون."[1]

وهكذا رجع السنونو المهاجر إلى وطنه بين أهله وأصدقائه وسط فرحة عارمة.

مما سبق نستشف أنّ علاقة الزمان بالمكان علاقة تكاملية وعضوية وثيقة، فكلّ منهما يكمّل الآخر، لا وجود للزمان دون المكان ولا للمكان دون الزمان فهما شيئان متّصلان ولا يمكن الفصل بينهما.

ويمكن القول أنّ الاغتراب المكاني هو بعد الإنسان عن وطنه وبيئته، هذا ما لمحناه في شخصيات الرواية من بينهم "هزيم" الذي هاجر من وطنه بحثا عن حياة أفضل، لكن بعد فترة زمنية تحطّمت أحلامه التي بناها في مخيّلته واصطدم بواقع المدينة التي تعجّ بأجهزة المخابرات فهاجر مرّة أخرى نحو مدينة وحياة جديدة.

ومنه نجد نوع في الأماكن التي انتقلت إليها الشخصيات وبحثها عن أماكن تشعر فيها بالأمن والأمان والسّلام.

[1]- الرواية، ص328.

الوطن هو أجمل ميراث في هذه الحياة، فهو جزء لا يتجزّأ من كيان الإنسان مهما ابتعد وتغرّب عنه تبقى الذكريات ملتصقة به، وأبرز مثال عن ذلك "هزيم" الذي لم تفارقه ذكريات الماضي وظلّ يسترجع ما عاشه في فترة الطفولة والمراهقة، وبمجرّد ما أتيحت له فرصة العودة وهو في منفاه لم يتردّد وعاد إلى مسقط رأسه فَرِحا مسرورا مبتهجا.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام بحثنا وبعد تعرّضنا لأهم مفاهيم الاغتراب، حاولنا الإلمام بجوانبه وموضوعاته البارزة ودراستها وتطبيقها على رواية هجرة السّنونو، ومن أهم النتائج التي توصلنا، إليها:

- تعرّض موضوع الاغتراب لكثير من الدراسات والتعريفات من طرف العلماء والنّقاد والأدباء عند الغرب والعرب والفلاسفة والمفكّرين.
- الاغتراب حالة يعاني منها الفرد نتيجة عوامل أثّرت فيه، كما أنّه مجموعة من المشاعر السلبية المتمثّلة في الرّفض التّخلي، الشّعور بالعجز، غياب العلاقات الاجتماعية وغيرها، مما يدفع بالفرد إلى دخول قوقعة الاغتراب.
- يعدّ "هيغل" من بين أوائل الفلاسفة المعاصرين الذين مهّدوا لمصطلح الاغتراب، لتتوالى وتتعدد المفاهيم حوله بتعدد دارسيه.
- يعيش الإنسان مغتربا ومنعزلا ويصاب باليأس إذا لم تتحقق آماله ومراده فيندفع نحو الرّفض والتّمرد.
- كما نجد أنّ الشّعر والرواية قد مَثَّلاَ ظاهرة الاغتراب في السّاحة الأدبية خير تمثيل.
- تعددت أشكال وأنواع الاغتراب منها: الاغتراب الاجتماعي، الاغتراب السياسي، الدّيني، النفسي، والتي دفعت بالإنسان إلى الابتعاد عن واقعه والتّخلي عن نفسه نتيجة لظروف سياسية، اجتماعية، نفسية فرضت نفسها على الفرد.
- جسّدت رواية "هجرة السنونو" ظاهرة الاغتراب من خلال البطل "هزيم" وما عاناه من غربة ممّا جعله يبتعد عن وطنه وأهله.
- وظّف "حيدر حيدر" الاسترجاع الذي بدا من خلال الزّمن لإظهار الفجوة والمعاناة التي مرّ بها بطل الرّواية.

- غلب على الرواية الاغتراب الزماني والمكاني ليجسّد وضعية هزيم المغترب واسترجاع ذكريات الطفولة، المراهقة، الزواج الفاشل، هجرته والمدن التي أقام بها.
- عودة "هزيم" في النهاية إلى وطنه بعد سنين من الألم والحزن، وعودة الأمل والفرح لقلبه، ليبدأ رحلة جديدة نحو الحياة وسط أهله.
- رواية "هجرة السنونو" عبارة عن سيرة ذاتية، وحالة عاشها الكاتب في بلده أجبرته على المغادرة من بلد لآخر، فعاش مرارة الاغتراب والألم والاشتياق.
- التّحلي ببراعة تصوير الأحداث ونقلها، أضف إلى ذلك ما اعتمد عليه الكاتب من وصف جزئي وشامل للحوار الدائر بين الشخصيات والذي يبدو مناسبا، فالراوي قد ترك المجال لكلّ شخصية التعبير عن نفسها وما يختلج ذهنها من أفكار.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1/ المصادر:

1- حيدر حيدر، هجرة السنونو، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية-دمشق، ط1، 2008.

2/ المعاجم:

1. ابن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، دط، دس، ج4.
2. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف-1119، كورنيش النيل-القاهرة، ج.م.ع، دط، دس.
3. أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار المعارف العلمية، بيروت-لبنان، ج1، ط1، س 1998.
4. بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان-بيروت، دط، 1987.
5. جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، ج1، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، دط، 1982م.
6. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

3/ الكتب:

1. أبو زكريا محي الدين يحي مسلم بن الحجاج، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ج2، ط2، 1392.

2. أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري، (دراسات اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنّشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م.

3. أيمن حماد، الاغتراب في الرواية العربية المعاصرة، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، مج1، ط1، 1952-2000.

4. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

5. حسن حماد، الإنسان المغترب عند إريك فروم، دار الكلمة، القاهرة، مص، د ط، 2005م.

6. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين العلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، س2006م.

7. ساجدة عبد الكريم خلف التميمي، الاغتراب في شعر نازك الملائكة، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2016م.

8. سناء حامد زهران، إرشاد الصحة النّفسية لتصحيح مشاعر الاغتراب، عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004.

9. عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1982.

10. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة، دط، 2003م.

11. فارس توفيق البيل، الرواية الخليجية (قراءة في الأنساق الثقافية)، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016.

12. فريد أمعضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ط1، 1436هـ/2015م.

13. لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر، دط، 2013م.

14. محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988.

15. محمود سليم هيجانة، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن/إربد، دط، 2005م.

16. نزيهة خليفي، البناء الفني ودلالته في الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب، ط1، 2012، ص163.

17. وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس "دراسة تحليلية نقدية"، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار-الجزائر، دط، 2013م.

18. يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م.

4/ المجلات:

1. بسام خليل فرنجية، الاغتراب في أدب حليم بركات، مجلّة فصول، مج4، ع1، 1983م.

2. جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف 8جوان 2012.

3. حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلّة جامع دمشق، مج27-2011، ع1+2.

4. سمية بن عمارة، منصور بن زاهي: الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الأنترنت، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، ع10، جوان 2013.

5. علي وطفه، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت م27، ع2، أكتوبر-ديسمبر 1998.

6. فتح الله خليف، الاغتراب في الإسلام، عالم الفكر، مج10، ع1، 1979.

5/ الكتب المترجمة:

1. سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط4، 1996.

6/ الرّسائل الجامعية:

1. عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي وعلاقته بالصّحة النّفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في علم النّفس وعلوم التّربية والأرطوفونيا، جامعة الجزائر، يوسف بن خدّة، 2007-2008.

الفهرس

فهرس الموضوعات:

شكر وعرفان

إهداء

مقدّمة.....أ-ت.

الفصل الأول: الاغتراب: إطلالة نظرية على المفهوم وأبعاده.....4

1- الاغتراب.....5

1-1- لغة.....5

1-2- اصطلاحا.....7

أ- في الفكر الغربي.....9

أ-أ عند الوجوديين.....13

ب- في الفكر العربي.....14

2- التفسيرات العلمية للاغتراب.....16

2-1 من منظور علم النّفس.....16

2-2 من منظور علم الاجتماع.....18

3- الاغتراب مظاهره أسبابه وأشكاله.....19

3-1 مظاهر الاغتراب.....19

3-2 أسباب الاغتراب.....22

3-3 أشكال الاغتراب.....23

الفصل الثاني: أهم تجلّيات الاغتراب في الرواية.....29

1- خصوصية التجربة الرّوائية الحيدرية..... 29

2- ملخّص الرواية.....30

3- مؤلّفاته..... 30

4- رمزية العنوان وإيحائياته.....33

5- تجلّيات الاغتراب في الشخصيات الروائية.....35

6-1 الشخصيات الروائية.....35

أ- الشخصيات الرئيسية.....35

ب- الشخصيات الثانوية.....41

6- أشكال الاغتراب في الرواية.....43

أ- الفضاء الزماني والاغتراب.....43

ب- الفضاء المكاني والاغتراب.....50

الخاتمة.....56

قائمة المصادر والمراجع.....59

الفهرس.....65

الملخص

لاغـــتراب في رواية "هجرة السنـــونو"لحيدر حيدر

الـمـلـخص

تـهـدف هـذه الـدّراسة إلـى إمـاطة الـلّـثـام عن ظـاهـرة الاغـتـراب، بـاعـتـبـارهـا ظـاهـرة وجـوديـة قـديـمـة قـدم الإنـسـان، وهـي تـجـربـة نـفـسـيـة شـعـوريـة يـعـيـشـهـا كـلّ مـن تـعـرّض لـلـقـهـر أو الـظّـلـم، لـيـجـد نـفـسـه مـنـعـزلا عن الـعـالـم الـخـارجـي.

وضمن هذا الـمسعى، سنعمل على استقراء تجليات هذه الـظـاهـرة الإنـسـانـيـة مـتـعـددة الأبـعـاد فـي روايـة هـجـرة الـسـنـونـو لـحـيـدر حـيـدر، وهـي أحـد أهـم الأعـمـال الـروائـيـة الـتـي تـعـبـر عن الـحـالـة الاغـتـرابـيـة الـمـسـتـمـرة الـتـي يـعـيـشـهـا الـفـرد الـعـربـي فـي ظـل الـصـراعـات الـدائـمـة الـتـي تـعـيـشـهـا الـمـنـطـقـة الـعـربـيـة.

الـكـلـمـات الـمـفـتـاحـيـة: الاغـتـراب، تـجـربـة نـفـسـيـة، هـجـرة الـسـنـونـو، حـيـدر حـيـدر، الـحـالـة الاغـتـرابـيـة.

Abstract

This study aims at unveiling the phenomenon of alienation that is an ancient existentialist phenomenon. Itis a sensual psychological experience lived by anyone who was subject to tyranny and oppression; who, later, finds himself alienated.

In this regard, we shall deduce the manifestations of this multidimensional human phenomenon in the novel "Hijret Asnounou" of Haidar Haidar, which is one of the narrative works that express the continuous alienation, lived by the Arab individual in the light of the continuous struggles in the Arab region.

Keywords : Alienation, Psychological experience, Hijret Asnounou, Haidar Haidar, Alienation Situation.